العنف وعلاقته بالفرد والمجتمع

حبيب بن صافي

طالب دكتوراه في علم النفس تحت اشراف تلوين حبيب جامعة وهران 02 محمّد بن أحمد

تمهيد:

العنف ليس ظاهرة جديدة وخاصة بعالم اليوم. فهي موجودة وجود الإنسان على الأرض وهي جزء لا يتجزأ من تاريخ البشرية، إذ نجدها حاضرة في الكثير من الأساطير والخرافات التي تروي ماضي الشعوب والحضارات الإنسانية ،وهي ملازمة لجميع مجالات البشرية ومتعددة الوجود في جميع وسائل الإعلام بشتى أشكالها وصورها،وهي أكثر قربا من الفرد في علاقاته الإنسانية والاجتماعية اليومية.

ظاهرة العنف تمس كل أفراد المجتمع بدون استثناء ،فالكل معرض لها والكل معني بها ،ولا يمكن لأحد إنكارها أو نفيها إذ ذلك يؤدي إلى الانغلاق في عالم مسالم وهمي لا وجود له إلا في عالم الخيال.

إن هذه الظاهرة موجودة في جميع المجتمعات وخلال الأزمنة المختلفة وهي ليست مشكلة جديدة،فالمجتمعات الحديثة ليست أكثر عنفا من المجتمعات الماضية والقديمة عبر سائر العصور. فمظاهر العنف اليوم ليست أكثر مما كانت عليه في السابق،فربما هي أكثر بروزا ووضوحا مما كانت عليه من قبل الى أن أصبحت قضية ومشكلة عالمية بواسطة وسائل الإعلام المختلفة والمتطورة،وربما هي أكثر دمارا نظرا للوسائل التكنولوجية المتطورة الحالية فالعنف موجود دائما عبر كل زمان ومكان،فالإنسان في صراعه الدائم مع الطبيعة ومع غيره من أجل البقاء ولذلك نجده يطور الأسلحة الأكثر اتقانا وفتكا لكي يستعملها في حروبه وللسيطرة وفرض وجوده.

إن بناء ثقافة السلم واللاعنف تعني بالضرورة فهم آليات العنف وأصوله ، وهذا من أجل تدخل خاص وتنظيم مخطط ومحكم وطرق خاصة في تسيير الجماعات ،ولتفادي تراكم العوامل التي من شأنها تمزيق كيان المجتمع يفرض أيضا العمل على تطوير الانعكاسات الرافضة للعنصرية والخصام والمضايقات والانحلال الخلقي وكل الأشكال غير السوية[1] **(J.Pain ,2002 ;p : 45)** كون معظم المجتمعات تواجه ارتفاعا معتبرا من الشبان الذين . منذ مرحلة ما قبل المراهقة . تظهر عليهم صعوبات سلوكية. وعلى سبيل الذكر وحسب تنمية الموارد البشرية لكندا **(DRHC ,1996)**[2] عدد التلاميذ الذين يواجهون صعوبات سلوكية تضاعفت ثلاثة مرات في خمسة عشرة سنة بين 1980 و1995 في كندا [3] **(Bernard Terrisse / Johanne Bédard/ François Larose/ Gérard Pithon, 2000 ; p : 104)**.

وهذه الوضعية لها مخلّفات فردية واجتماعية معتبرة نذكر منها ما يلي:

- اعتداءات بدنية عنيفة . ـــ تفكك وتقهقر مدرسي.
- عدم الاستقرار العائلي لاحقا. ـــصعوبة في الاندماج المهني .
- بطالة . ـــ انحراف
- . إدمان على المخدرات.
- تزايد في الإسعافات الاجتماعية والطبية
- ارتفاع نسب الانتحار إلى غير ذلك[4](**Parent, G. et Paquin, A., 1994 ;p : 697-718.**)

إن البحث عن حلول لموضوع العنف والانحلال الخلقي يبدأ قبل كل شيء بارتباطها المنطقي بالمدلول[5] (**J.Pain , 2002;p : 67**) ثم للعلاقات المترابطة بين التدخلات في الأقسام وفي المدرسة وفي العائلة أو المجتمع **(6)** (**Cellier . H, 2003 ; p: 56.**). ولا يمكن تطوير وسائل التدخل دون التطرق إلى مشاكل نوعية المعارف - المعرفة العملية والمعرفة في التصرف–كما هو معمول به في المجتمع،كل اقتراح للوسائل الخاصة للوقاية تصبح هشة إذا لم ترتكز على بعض التساؤلات للشروط المنتجة للعنف. وعليه لفهم مشكلة ظاهرة العنف بصفة عامة علينا أولا التعرف على مجموعة العناصر المكونة لها والعوامل الناتجة عنها وذلك من أجل كيفية التعامل معها. ومنه فما هو مدلول العنف وما علاقته بالفرد والمجتمع؟

1. تعريف العنف:

قد يفهم من العنف أنه القتل أو التعذيب أو الاعتداءات أو الحروب أو القهرأوالاحتقار أوالإجرام أو الإرهاب إلى غير ذلك. إلا أن تعريف العنف ليس بالأمر السهل والصعوبات المواجهة تدفع إلى تساؤلات مهمة [7](**Yves Michaud , 2012 ; p: 3**)

مدلول الكلمات:

القواميس تعرف العنف كالتالي:

- فعل إرغام شخص على شيء ضد إرادته باستعمال القوة أوالتخويف.

- الفعل الذي به يستعمل العنف.
- وضعية طبيعية بتعبير قاس المشاعر.
- خاصية لحركة قاسية.

وبذلك فمدلول كلمة عنف تعني من جهة أعمالا و أفعالا والتي نسميها عادة «عنيفة » ومن جهة أخرى تعني أسلوبا لحالة من القوة،للشعور أو أداة طبيعية، تعلق الأمر بعاطفة عنيفة أوطبيعية.ففي الحالة الأولى يكون العنف مضادا للسلم وللنظم ، وفي الحالة الثانية يكون العنف مضادا للقاعدة[8](**Yves Michaud , 2012 ; p: 3**).

كلمة عنف **« Violence »** مشتقة من اللاتينية **« Vis »**و التي تعني القوة والشدة واستعمال القوة الجسدية ، وكذلك تعني الكمية والغزارة ، فالدلالة الحقيقية لكلمة **« Vis »** هي فكرة القوة ، وبصفة أدق القوة الحيوية[9] (**Yves Michaud, 2012; p: 4**.).

بصفة عامة العنف يدل على السلوكيات والأفعال الجسدية فهو يشمل على استعمال القوة ضد أحد مع الأضرار الجسدية التي تخلفها. هذه القوة تأخذ خصائص العنف حسب المعايير. إلا أن مشكلة المعايير أنها أو أغلبها تختلف تاريخيا وثقافيا ، إذ أن هناك أفعالا تعتبر عند الجميع عنفا.نذكر على سبيل المثال التعذيب والقتل والضرب. وهناك أفعال تختلف حسب الآراء والمشاعر لدى الأفراد والجماعات وبالتالي المجتمعات. فالعنف الأسري ضد المرأة أو الأطفال كانت تعتبر لزمن طويل أمرا طبيعيا.وهذا لم يعد كذاك في الوقت الحالي.و مثله عنف المرور و ظروف الحياة في السجن .و هي ظواهر اكتشفت حديثا في حين كانت سابقا ظواهرا عادية وطبيعية ولم يكن ينظر إليها كظواهر مهمة ينبغي الاهتمام بها ومراعاتها (**10**) (**Yves Michaud ,2012 ; p :4**).

- **التمييز بين العنف والعدوانية والقوة والصراع:**

لا بد من التمييز بين العنف والعدوانية والقوة والصراع.

يمكن التمييز بين العنف والعدوانية ، فالعدوانية سلوك إنساني،و تعتبر أمر ضروري للبقاء،كون مدلول كلمة عدوانية هي القدرة على المقاومة وإثبات الذات. فالعدوانية يمكن أن ترسم حدود شخصية الفرد وتمكنه من مواجهة الغير دون تهرب. فعل العدوانية لا يدل على العنف بقدر ما يدل على التقدم الذي يعني السير إلى الأمام فهو يحتوي أكثر على فكرة الطاقة والمقاومة.بدون عدوانية لا يمكن للفرد التغلب على الخوف والتقدم إلى الأمام. وإذا أخذنا باشتقاق الكلمات فالعنف ما هو في حقيقة الأمر إلا انزلاق للعدوانية.

العنف لا يعني القوة:كون القوة لا تكون إلا بالفعل،هذا الفعل قد يكون إما عنيفا أو غير ذلك ، فالعنف والقوة لا يدلان على نفس المعنى.

كما لا يمكن الخلط بين الصراع و العنف.فالعنف ليس هو الصراع ،كون الصراع هو جزء من الحياة وفي كل العلاقات مع الآخر الذي قد يكون عاملا للتغيير الإيجابي داخل المجتمع أو في علاقة من العلاقات. كما تُمكّن الصراعات من فرض الابتكار والتجديد والذهاب إلى الأمام. أما العنف فهدفه الأول هو التدمير، ويقود إلى إنكار الآخر وتصبح الرغبة في القضاء عليه وإبعاده وإقصائه وإسكات صوته أكثر قوة من الرغبة في التحاور معه. فالعنف يشكل اضطرابا وخللا للصّراع، وهو الذي يمنع من إعطاء مخرج إيجابي للصراع[11] (**J F Bazier , 2006 ;p : 45**) . - ومنه فإن عدم أو سوء التعامل مع صراع من الصراعات يمكن أن يؤدي إلى أفعال عنيفة سلبية وهدامة،فبدلا من البحث عن حل يرضي الطرفين،فهو يتجه للبحث عن حل للصراع بالقضاء على الآخر.

2. **المراحل المؤدية إلى العنف:**

إنّ المرحل المؤدية إلى العنف مختلفة بحيث لا يمكن الخلط بين الافعال والأعمالّ أو السلوكيات التي ما هي في حقيقة الأمر إلاّ بوادر للعنف والتي لا يمكن قبولها والتي هي منبهات للراشدين لاحتمالات وقوع العنف.

فالعنف ما هو إلاّ نتيجة لمظاهر مختلفة ومتتالية وغير ثابتة ولا توجد حدود بين مستوياتها، كان ذلك بطريقة شعورية أم غير شعورية، وهي حصيلة ظروف اجتماعية أو من دوافع لفاعلين حاملين للعنف. ويمكن تشكيلها حسب الشكل التالي:

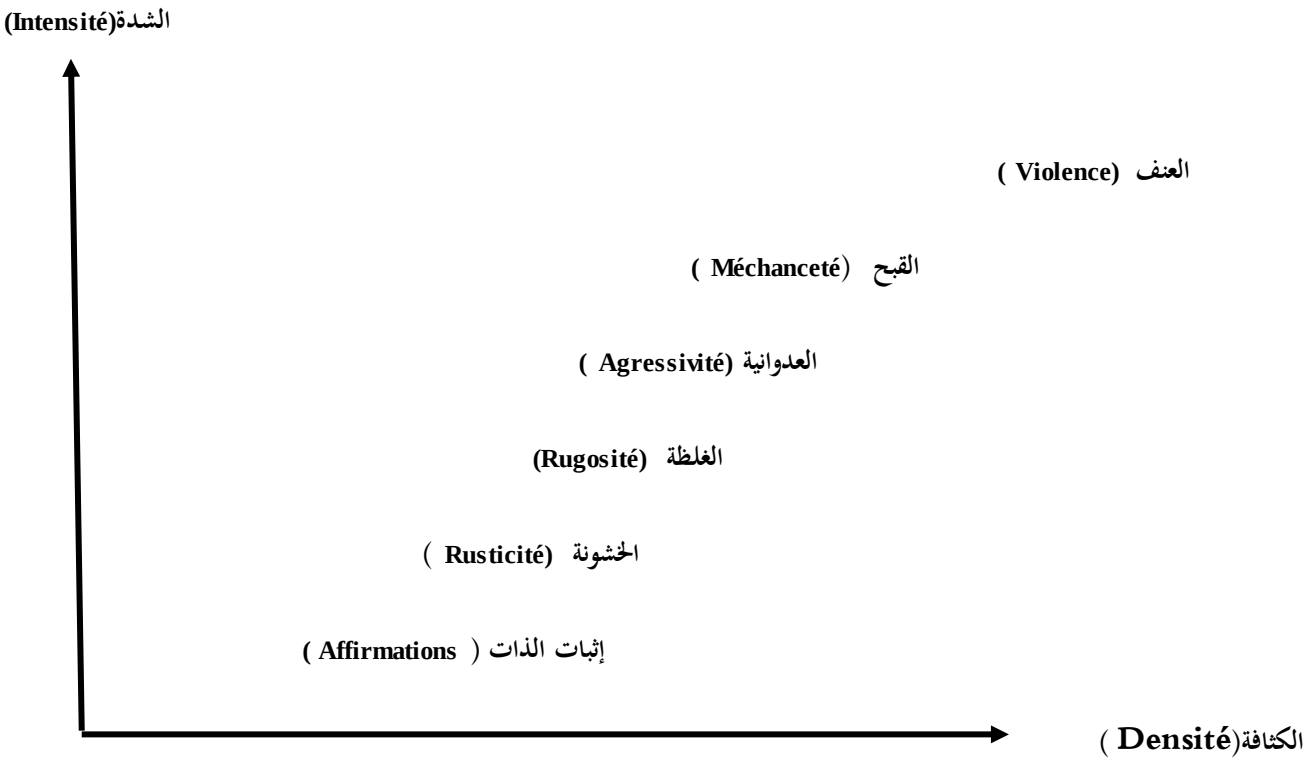

لشكل 1 :الاتجاه نحو العنف(12) (BRUN-PICARD ,2013 ;p :158)

فالتوترات **(les Tensions)** هي عبارة عن نظرات أو مواقف أو إشارات و إشاعات وضجّات التي تفسد العلاقات بين الافراد، وهي مرتبطة بعلاقات الصداقة والانتماءات و أيضا إلى الاختلافات، هذه التوترات تساهم في خلق القطيعة بين الافراد، وبذلك تعمل على خلق الخلافات والمصادمات االعلائقية .

التحديات **(les défis)** وهي المرحلة الموالية المؤدية للعنف والتي هي موجهة نحو الأقران و الراشدين والمؤسسات **(les institutions)** أو السلطة ،وهذا من خلال النظرة إليهم أو من خلال خلق الفوضى أو إشاعة الوشايات، وهذه التحديات هدفها تجاوز كل الابعاد والقيم المتعارف عليها ،هذه السلوكيات والفوضى والتحريضات غاياتها أو الجسدي يؤدي بالأفراد إلى مواجهات وهذه الصراعات هي تعزيز خرق وبكل قوة القوانين والنظم المتعارف عليها ، فحسب غاية وشدة هذه الأعمال نصل إلى الانحرافات والتي هي عبارة عن استفزاز وتعاطي المخدرات وعصيان وسلوكيات ضارة وخبيثة جميعها يمكن النظر إليها على أ نّها عنف، إلاّ أنّه و إلى حد الآن فهذه المرحلة ليست إلاّ مرحلة من المراحل المؤدية إلى العنف[13] **(BRUN-PICARD,2014;p :35-36)**

إنّ السلوكيات المعادية للمجتمع **(les incivilités)** تزيد من شدة الانحرافات وتقوّيها، فالغطرسة **(l'arrogance)** والسب والشتم والقذف وتحطيم الممتلكات العامة ت شكل شكلا من أشكال إثبات الذات **(l'affirmations)** هذه السلوكيات المعادية للمجتمع تجعل من الحياة غير مطاقة وتعطي صورة كارثية للمجتمع وتبرز أضرارا داخل التركيبة الاجتماعية .

الصراع اللفظي للمراحل السابقة وهي نتيجة للمثيرات وللغرائز وللنضج أين تستعمل الخشونة **(Rusticité)** والغلظة **(Rugosité)** كما تولّد إمكانيات وكفاءات للرد على المعارضين، وتبرز بذلك توترا للعلاقات بين الأفراد وحتى بين المراهق والراشد في المجتمع[14] **(BRUN-PICARD ,2014 ;p :36)**

كما أنّ محطة الخشونة والغلظة هي المرحلة الهامة المؤدية إلى العنف ، إذ تمكّن الأفراد من نقل أبعادهم الجسدية والنفسية ، وتمكّنهم أيضا من التحرر ومنفذ وداعم لكل المزايدات السلوكية.

العدوانية هي عدم الخضوع والمقاومة والدفاع عن النفس إثبات القدرة على التحرر من العبودية يتبعها القبح (**la méchanceté**، فالعدوانية نوعا ما سوية كونها تبين للآخرين أنّ الفرد ليس فقط رقة وطيبة فالعدوانية تقّر بإمكانية إجابة نسبية

عن المعاناة من الاضرار وهي تعرض الكفاءة و قدرة الدفاع عن النفس ، إلاّ أنّ حدود القبح

تكون نفوذة (**Poreuse**)بحيث أنها تميل نحو الأذى وإلحاق الضرر دون هدف آخر ويكون هذا أحيانا لا شعوري وهنا يتشكل شكلا من أشكال العنف[15] **(MESSY,2002 ;p :18)**.

وهذا التوجه التصاعدي نحو العنف يمكن أن يكون مؤثرا. ففي وقت قصير يمكن أن يتحول أفراد من مستوى توتر عابر إلى سب وشتم وقذف وضرب . فالفورية هي جزء لا يتجزأ من واقعية العنف، إذ لا يوجد وقت مادي لكل مرحلة، فمعرفة الأحداث بكل ذاتية تبقى العنصر المنبّه للملاحظ الذي ينجذب للتعامل وللحد من هذه الآفة الاجتماعية.

3. علاقة العنف بالفرد والمجتمع:

العنف هو خاصية الكائن البشري، وبالتالي المجتمع الإنساني، عدم اعتراف الفرد به هو انكار لطرف من ذاته. ومنه حُكِم عليه بعدم القدرة على التلاؤم معه. إذ أنه من الضروري أخذ بعين الاعتبار العنف الذي يسكن بالفرد وأيضا الذي يحيط به ذلك كي يتمكن المجتمع من مجابهته وبالتالي الوقاية منه[16]) **(LONGNEAU Jean-Michel, 2006 ; p : 13)**.

ظاهرة العنف هي نتيجة لمجموعة من العوامل تتعلق بحياة الفرد والتي ساهمت في تكوين شخصيته، هذه العوامل منها ما هو داخلي وما هو خارجي.

أما من حيث العوامل الداخلية فهي المتعلقة بالحياة العائلية وعلاقتها بحياة الفرد والرابطة الموجودة بين العنف والوضعية العائلية[17] **(Pierre G. Coslin, 2004 ; p :126)** كما هو معروف أن تكوين الرابطة الاجتماعية تبدأ مع بداية الحياة، فالتفاعلات المبكرة تؤدي إلى التفاعلات البعدية والتي بدورها تمكن للفرد من الاندماج داخل المجتمع، فالاندماج العائلي يعتبر الأحسن تحضيرا للاندماج الاجتماعي فالعائلة هي التي تلعب الدور الأساسي في تكوين الشعور المعنوي وتعتبر العامل الأساسي في تلقين القيم [18]**(Freud. S) (1939)** ومنه فدورها فعال في الحد من أو بروز السلوكيات العنيفة لدى الأفراد والجماعات فلقد أبرزت الدراسة التي قامت بها وزارة التربية الوطنية أن من بين أسباب تفشي ظاهرة العنف في الوسط المدرسي ظاهرة التفكك الأسري والفقر واضطراب العلاقة بين الوالدين[19]**(صارة ضويفي جريدة الجزائر نيوز2011 : ص 9)**.

أما العوامل الخارجية فهي المتعلقة بظروف الحياة الاجتماعية والاقتصادية وذلك حسب التقرير الذي قدمه المجلس الوطني الاقتصادي "الكناس" « CNES » Conseil National Economique et Social(وهو مجلس مستقل عن الحكومة وله مصداقية على المستوى الداخلي وعلى المستوى الدولي) والذي أشار إلى مجموعة من الإحصائيات حول انتشار ظاهرة العنف في الجزائر من خلال جلسات المجتمع المدني – التي ضمت خبراء ومختصين –أن البطالة والبؤس والمخدرات و اللاَ أمن ومشكل السكن والإقصاء والتهميش من العوامل المسببة في تدهور أوضاع الشباب في الجزائر وأن حالات الجنوح في زيادة نتيجة الفقر الذي أصبح يمس جزء كبير من الشباب.زد على ذلك هشاشة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتحصيل الدراسي غير الكافي وكذلك نظام التأطير غير المناسب. كما أبرز أيضا بروز أشكال جديدة للتعبير لدى الشباب من المظالم الاجتماعية وتهميشهم والتي تعد مصدر بؤسهم حيث تم الوقوف على حالات لشباب أقدموا على تمزيق أجسادهم بالسكاكين تنديدا منهم على قوائم مغشوشة للمستفيدين من السكنات [20] **(عبد الوهاب بوكروح . جريدة الشروق اليومي. 2011,العدد 3326. ص 3).**

إن ظاهرة جنوح الأحداث هي من الظواهر التي تغذي وتزيد في تفاقم ظاهرة العنف وبغية منه معرفة الأبعاد المختلفة حول ظاهرة انحراف الشباب في المجتمع الجزائري . بعد دراسة قام بها الكناس وتبعا لما قدمته مختلف الهيئات المعنية والمتمثلة في الدرك الوطني والشرطة والشبيبة والرياضة . قدم تقريرا خلص فيه إلى نتيجة هي عدم اهتمام السلطات في الجزائر بظاهرة انحراف الشباب بالرغم من تفشيها وتفاقمها وأخذها أشكالا خطيرة وذلك بالوصف الذي أعطته إياها والذي كان كالتالي:"**ظاهرة الانحراف والتي هي محددة بعدة دوافع متضافرة ،إذ هي مرتبطة باختلالات متراكمة لمؤسسات الدولة والعائلة وهي في نفس الوقت ناتجة عن قصور في التنشئة الاجتماعية وتعبير عن انزعاج لفئة من الشباب الخاضعة لتأثيرات الأزمة الاقتصادية ولعنف ارهابي وللتحولات الاجتماعية** "[21] (**Belkacem Labii ,2008 ;P:19)**

4. الخاتمة:

ظاهرة العنف من أخطر الظواهر التي انتشرت في المجتمعات الإنسانية، وقد حاولنا في بحثنا هذا ابراز العلاقة الموجودة بين العنف والفرد داخل المجتمع وقد أصبحت هذه المشكلة في ازدياد مستمر رغم كل الجهود المبذولة من طرف العديد من المؤسسات سواء كانت أمنية وإعلامية ودينية وتربوية ، ولا يخفى على أحد أن العنف جزء لا يتجزأ من الإنسانية وملازمها في كل زمان ومكان ، وهذا ناتج من تفاعل الأفراد فيما بينهم ، إذ هو نوع من السلوكيات السلبية التي تحظى باهتمام الباحثين بالظواهر النفسية والاجتماعية وقد عرفت هذه الظاهرة من تطورات خطيرة، حيث داهمت البيوت ودخلت المدارس وانتشرت في كل

مكان واجتاحت كل الميادين خاصة الشبانية منها وأخذت أشكالا جديدة أصبحت تهدد أمن وكيان استقرار كل المجتمعات نظرا للآثار البالغة داخل المجتمعات.

ورغم الاهتمام البالغ بهذه الظاهرة وما يحيط بها من أبحاث ودراسات إلا أنها لم تنجح تماما في القضاء عليها بل أصبحت مشكلة عالمية بات من الضروري العمل على الحد من تفشيها للتقليل من السلوكيات العنيفة ومظاهر الانحراف وهذا يتطلب جهودا نوعية من كافة المؤسسات وعلى رأسها المؤسسات التربوية التي أنشأها المجتمع لدعم نظريته في الحياة لنشر الوعي بأخطار السلوكيات العنيفة وإيجاد الطرق الكفيلة للوقاية منها،ولن يتأتى ذلك إلا بتسليط الضوء عليها ومجابهتها والوقوف في وجهها بواسطة البحث العلمي.

الهوامش:

1. **Pain, J. La société commence à l'école. Prévenir la violence ou prévenir l'école. Paris : Matrice. 2002.**
2. **DRHC ,1996): Développement des Ressources Humaines Canada (1996). Grandir au Canada: Enquête longitudinale nationale sur les enfants et les jeunes, Ottawa, Ont. :Statistique Canada.**
3. **Bernard Terrisse / Johanne Bédard/ François Larose/ Gérard Pithon .l'agressivité chez les jeunes en milieu familial :le programme interactif « Être parents aujourd'hui». éducation et francophonie. Revue scientifique virtuelle publiée par l'Association canadienne d'éducation de langue française dont la mission est d'inspirer et de soutenir le développement et l'action des institutions éducatives francophones du Canada VOLUME XXXII:1 – PRINTEMPS 2004 p :104.**
4. **Parent, G. et Paquin, A. (1994). Enquête auprès des décrocheurs sur les raisons de leur abandon**

scolaire, Revue des Sciences de l'Éducation, XX, (4), 697-718.
5. **Pain, J.ibid**
6. **H.Cellier Cellier, H. Une éducation civique à la démocratie. Paris : PUF. (2003).**
7. **Yves Michaud , La violence, P.U.F. « Que sais-je ? », 2012, p. 3.**
8. **Yves Michaud ibid. p. 3.**
9. **Yves Michaud ibid. p.4.**
10. **Yves Michaud ibid. p.4.**
11. **J-F Bazier,« la Non-violence : une proposition », Pax Christi Wallonie-Bruxelles, Publié avec le soutien du service de l'éducation permanente de la française, du 5juillet 2006.**
12. **BRUN-PICARD ,Géographie d'interfaces, L'Harmattan , Paris,2013.**
13. **BRUN-PICARD ,Une école de violences, la cour de récréation une interface éducative de référence L'Harmattan , Paris,2014.**
14. **BRUN-PICARD ,Une école de violences, la cour de récréation une interface éducative de référence, ibid. p :36.**
15. **MESSY Jack ; Pourquoi la violence ?, Payot.2002; p: 18.**
16. **LONGNEAU, Jean-Michel, « Attention à la démagogie », in le Vif l'Express, paru le 28 avril 2006. Exposés du 4 juillet 2006 et du 31 août 2006.**
17. **Pierre G. Coslin . La violence en milieu scolaire. Relation aux parents et violences scolaires. éducation et francophonie. Acelf Canada. VOLUME XXXII:1 – PRINTEMPS 2004 p :126.**
18. صارة ضويفي/ 25 ألف حالة عنف في الوسط المدرسي خنها 4555 اعتداء على الأساتذة/جريدة الجزائر نيوز/ الجزائر/ الأحد 27 نوفمبر 2011 العدد 2393 ص 9 .
19. عبد الوهاب بوكروح .آفات العنف والمخدرات والتهميش تتربص بالشباب الجزائري. المجلس الوطني الاقتصادي يدق ناقوس الخطر. جريدة الشروق اليومي.يوم الخميس 16 جوان 2011 ,العدد 3326. ص 3.
20. ,. **Freud S. (1939). Moïse et le monothéisme, Paris : Gallimard.**
21. **Belkacem Labii/violence en milieu scolaire a Constantine/Ville école-Intégration/ Diversité/Decembre 2008 N° 155/P.192**